لو كنت : رسالة أدبية

مهداة إلى العميد

صاحب العزة نجيب بك صدقة

سيدى !

لو كنت شاعراً ، لصغت فيك الشعر حالياً ، كقلائد العقيان ....

لو كنت مصوراً ، لكانت شمائلك الغر إلهاماً ، يضفى الجلال على الألوان ...

لو كنت مثالا ، لاتخذت شخصك نموذجاً ، لتمثال الحرية والاخاء ..

لوكنت عميداً لدار العلوم ، لجعلت من سيرتك ، معلقة تحفظ فى مكاتب الدار

لو كنت ملكا — بعد أن تكشفت نفسك للناس — لأقامك العدل ، قيم الدنيا ، حفيظاً على أمانى البلاد ..

فأنت من أولئك الصيد ، الذين ضموا مجد مصر من أطرافه فى السياسة والتربية والاجتماع .

وكأن الشاعر عناك إذ يقول :

فرع نبع يهتز فى غصن المجـــد غزير الندى ، شديد المحال
عنده البر والتقى وأسا الصدع وحمل المعضلات الثقال

***

ولو كنت شاهداً لسباق الخيل ، لأخرت الحرب بين عبس وذبيان ، وأترك زهير بقوله : يميناً لنعم السيد وجدت

ولو كنت فى مؤتمر السقيفة ، لحسمت الخلاف بين المهاجرين والأنصار ولم يدون التاريخ كلمة الحباب : منا أمير ، ومنكم أمير ....

ولو كنت فى دومة الجندل ، يوم التحكيم ، ماظهر الخوارج فى الاسلام ونصافح سيف العراق وحسام الشام ....

ولو كنت مستشار بنى مروان ، ماقتل العائد بالبيت الحرام وسلمت الكعبة من الغزاة . . .

ولو كنت فى البرلمان مكان وثروت ، لأحرزت الثقة . وفزت على منافسك .. فى مجلس النواب ...

ولو كنت فى الأمة العظيمة . لبعثوك إلى الهند ، نائبا عن الملك ، تؤلف بين المذاهب والأحزاب ...

* * *

ولو كنت أملك كل ذلك . لأهديته اليك فرحا ...

ولكنى أملك قلبا يخفق بحبك ولسانا يحلو إذا أشاد بذكرك . وتملك أنت ماضيا ماجدا ، وحاضرا ناضرا . ومستقبلا حافلا ..

فانعم بيومك ! ...

واهنأ بأمسك ! ...

وأسعد بغدك ! ...

فانت ذكرى عطرة بالامجاد التالدة تسير مع الأجيال ...

وأنت أغرودة حلوة . ترددها المناصب التى شغلتها على مدى الايام ...

وأنت قوة من الخير والحق ترقيها دار العلوم فى شغف وايمان .....

ودمت سيدى حميد الفعال . مديد الآمال . ترفل فى ثياب الصحة والرفاهية

وتقبل تحياتى وتحيات المعجبين بك والسلام

من المخلص

خلف القاضى